بالنظر فلما رأى النمر ذلك منه أنشد
عبد شمس أبوك وهو أبونا • لا تناديك من مكان بعيد
والقرابات بيننا واشجات • محكمات القوى بعقد شديد
فأعجبه ذلك منه وأجلسه معه على السرير وأقعد أصحابه
يمينا وشمالا وقال لهم إني ربما أخلطكم بنفسي أستخلصكم
لها فاشكروه على ذلك فبينما هم يتحدثون إذ دخل عليهم سديف
فأنشد السفاح القصيدة التي أولها
عمر الدين فاستبان مليا • حتى أتى على آخرها
فقال السفاح يا ابن زيد كيف ترى شاعرنا فقال أقول لأمجد الجنبة
وأرباب بني أمية إن شاعرنا لأشعر من شاعركم وأكثر بيانا وأفصح لسانا
فقال السفاح وما قال شاعركم فقال
لو تحمل البخت أثقال مثقلة • أحلامهم تركت عقر المبارك
لا يغضبون إذا استجهلتهم • زين المجالس فرسان المنابر
فاحمر وجه السفاح وهاجت به حمية كانت فيه قد سكنت ثم ضرب
على فخذ النمر وقال
طمعت أمية أن تجاوز هاشم • عنها ويذهب زيدها وحسينها
كلا ورب محمد ومليكه • حتى يبيد كفورها وخؤونها
ثم قال قوموا إلى المغضوب عليهم • ثم دعا بثلاثة وسبعين رجلا
من أهل خراسان فأعطاهم الخشب وقال اشدخوهم فشدخوهم
عن آخرهم • فقال سديف والله ما خجلت من الأنبار حتى رأيتهم معلقين
بعراقيبهم قد نهشت الكلاب رؤوسهم • ولما جاء ابن زياد يتجنبا النهر

ونعى

وقف لله تعالى

وبنى زياد بنيانا بالجص والآجر بالبصرة أمر أصحابه أن يسمعوا من أفواه الناس
ما يقولون فيها ويلقوه فيأتوه بما قالوا فأتي بإنسان قيل إنه لما رآها
تلا قوله تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم
تخلدون فقال له زياد ما حملك على هذا قال لم يكن أيها الأمير هذا
عن قصد وإنما خطرت على قلبي فتلاها لساني فقال له والله لأعملن
فيك بالآية الثانية وإذا بطشتم بطشتم جبارين وأمر به فبني عليه ركنا
من أركانها وكان أحمد بن يوسف الكاتب كثير السقطات وكان يجالس
المأمون وكان المأمون إذا تبخر لا يستقصي البخور ويخرج المجمرة
عما يبقى فيها فيوضع تحت الرجل من الجلساء إكراما لهم وإعظاما
بهم فجاءت النوبة يوما لأحمد بن يوسف فقال هاتوا المردود فسمعه
المأمون فقال ألنا يقال هذا ونحن نبخر رجلا واحدا من خدمنا
بعشرة آلاف دينار أكثر ذلك إنما قصدنا إكرامك أن أكون أنا
وأنت أتممنا بخورا واحدا ولا يأبى الكرامة إلا اللئيم ثم أمر المأمون
أن يطرح في المجمرة ثلاث مثاقيل من العنبر ويبخرها أحمد ويدخل رأسه
في طوقه حتى ينفذ ريحها ففعل به ذلك وهو يستغيث الغياث
حتى احترق دماغه وقام من المجلس إلى منزله فمات من ليلته •
ومن استقطر من الفضلاء في كلامه • فكان سببا مؤكدا للومه وإيلامه
ذو الرمة فإنه وفد على عبد الملك بن مروان ذكاؤه وجودة شعره
فأحب أن يراه فأمر بإحضاره فلما دخل عليه استنشده فأنشده
قصيدته المذهبة وافتتحها بقوله
ما بال عينك منها الماء ينسكب • كأنه من كلى مفرية سرب

Copyright © King Saud University